كسوف المعنى: المفارقة وإنتاج الدلالة في نصوص زيتونة لا شرقية

أ. د. وليد شاكر نعاس
جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية- العراق
اللغة العربية

Emali:wlyd22397@gmail-com

المستخلص:
هـذه الدراسـة محاولـة في قـراءة المفارقـة إبداعـاً وجـمالًا، عـلى وفـق تمثيلاتهـا المختلفـة، مقاربـة في المجموعـة الشـعرية (زيتونـة لا شرقيـه)، للشـاعر: مالـك عبـد الرسـول، وقوفـاً عـلى شـمولية درس المفارقـة الشـعرية، وارتباطهـا الجوهـري في النسـج اللغـوي، عـلى وفـق قصديـات المرسـل/ المبـدع، وكيـف تمـارس فعالياتهـا عـلى القـارئ، مشـيدة نسـقها التواصـلي، ثـراء في تعدديـة المعنـى، بآليـات الاسـتقبال، والتحويـل (الأنـا والآخـر)، والاحالـة (الحواريـة داخـل الخطـاب).

الكلـمات المفتاحيـة: المفارقـة ، قصيـدة النـثر، انفتـاح الدلالـة

Abstract:
This study is an attempt to explore the paradox as a form of creativity and beauty, according to its various representations, through an analysis of the poetry collection “An Olive Tree Not of the East” by the poet Malik Abdul Rasool. It examines the comprehensiveness of the poetic paradox and its essential connection to the linguistic structure, in accordance with the intentions of the sender/creator. The study also

investigates how the paradox operates upon the reader, constructing its communicative pattern and enriching the multiplicity of meaning through mechanisms of reception and transformation (the self and the other), as well as reference (dialogism within the discourse)

١- منهجية البحث:

١-١-مشكلة البحث

يبدو أن درس المفارقة في علاقته بالأدب، يغوي الباحثين مقصدا جمالياً وابلاغياً، بوصفه استراتيجية يتوسلها المبدع في صوغ كتاباته، وما يريد ايصاله الى الآخر، ملتبساً في معانيه، ومضمراً في دلالاته، وعليه يمكن صياغة مشكلة البحث في الآتي:

١-كيف تسهم المفارقة الشعرية في اغناء القصيدة، عمقا في معاني نصوصها.

٢-هل كانت مفارقة الشعرية هدفا في حد ذاتها، ام هي استنطاق واع من قبل الشاعر، أن يستعين بأدواتها، في تحويل خطابه الشعري الى دلالات متشابكة الأطراف.

٣-ما الدور الجمالي الذي مارسته المفارقة الشعرية على ذهنية المتلقي.

٤-المفارقة آليه تختلف في أنواعها وتمثيلاتها ووسائلها، كيف مررها الشاعر بنية ثقافية داخل خطابه الشعري.

١-٢-اهمية البحث

قد يسهم البحث في بيان الآتي :

١-يركز البحث في بيان جانب من ابداعات قصيدة النثر في ايران، لدى جيل الشعراء من الألفية الثالثة.

٢-المساهمة في القاء الضوء على المنجز الشعري، للشاعر مالك عبد الرسول العبدي، وقوفاً على استراتيجيات كتابته للقصيدة.

٣-بيان ارتباط درس المفارقة في الابداع الشعري، وكيف يحقق تأثيراً في ذهنية القارئ.

٤-رصد الجوانب الجمالية التي تنهض عليها قصيدة النثر عند الشاعر مالك العبدي.

١-٣- أهداف البحث

يهدف البحث الى تحليل المجموعة الشعرية (زيتونة لا شرقية) على وفق درس المفارقة، متضمنا بيانها وأنواعها وأساليبها، ثم تطبيقاتها في المجموعة الشعرية، بوصفها أنموذجاً لذلك الدرس، وقوفاً في تأثرها المقصود إبداعاً شعرياً ، يتوسله الشاعر في تثبيت رؤياه، ذاته، مشاعره، همومه، فرحه...، ورصد علاماتها اللغوية المفتوحة تاويلاً ، يتلقاها القارئ سننا يفك شفراتها.

١-٤-منهج الدراسة

حاول البحث ان يتوسل المنهج الوصفي التحليلي في قراءه المجموعة الشعرية (زيتونة لا شرقية)، مع الافادة من مناهج النقد الحديثة، مثل التأويلية، القراءة، والتلقي، النفسي، ونحو ذلك وصولا الى

رؤية ناضجة في اضفاء قيمة معرفية على هذا المنجز الشعري.

١-٥-مجتمع عينة البحث

كانت عينة البحث هي المجموعة الشعرية (زيتونة لا شرقية)، وقد اخذ منها التمثيلات على وفق ما نراه متوافقاً مع ما يؤديه ابداعا لدرس المفارقة الشعرية.

المحور الاول : افتراضات درس المفارقة

أ-المفارقة لغة واصطلاحا

المفارقة لغة : من أصلها الفرق وهو خلاف الجمع، وانفرق الشيء وافترق، والتفريق للأبدان، والافتراق في الكلام، والفرق طائفه من الناس[١]. والمفارقة اصلها من فارق، ومفرق الشيء اختلافه، وبه تكون المفارقة قد دارت دلالاتها اللغوية في الفرق والاختلاف والتباعد والافتراق بين حدين ضدين.

وفي الاصطلاح : فثمة تأكيد أنه مصطلح غربي في تناوله النقدي، بوصفه شكلا من اشكال التعريض ((احداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرا، وصاحب المفارقة المتمرس يستعمل من الإشارات أقلها))[٢]، تهكما وسخرية في اسلوبه الأدبي، متوسلا الصيغ البلاغية المختلفة للتعبير عن معنى ما، أو موقف معين بلغة نقيضة، تتوارى خلفها الحقيقة، فهي ((طريق من طرائق التعبير يكون فيها المعنى مناقضا او مضادا للكلمات))[٣] ، فثمة دلالات مزدوجة تحملها بنية النص تجعلها عرضه للتأويلات.

ب- في خطاب النقد الادبي الإيراني

إن حضور المفارقة تمثيلا، يمكن أن نعثر على ملامحها في التراث الأدبي الفارسي، بمعنى أنها مطروحة ممارسة وليست تقعيداً مصطلحياً ، لأن ((عدم وجود المفارقة مصطلحا لا يعني عدم وجودها مفهوما أو نوعا))[٤] في الأدب الفارسي القديم ، الذي يمتد تأريخه الى أكثر من الفين ونصف عام.

ونحسب أن المفارقة بوصفها سخرية قد تجلت عندهم في نظم الصياغات الأدبية الفارسية، ولعل ابرزها أناشيد زرادتشت في كتاب (أفيستا)، التي توسلت ثيمة السخرية حقيقه إنسانية جوهرية، غايتها الاصطلاح في سلوكيات البشر[٥]، لتكون تلك الأناشيد المثيرة في نفسها ولغتها ومعانيها، مثلا يحتذى به الأدباء والكتاب في بلاد فارس.

والمتتبع في تجليات المفارقة ممارسة، يمكن أن يلحظها في ثنيات مؤلفات فارسية عديدة، لعل منها (كتاب المقالات الاربع) لنظام العروضي السمر قندي، في تعليقه على أدباء فارس وكتّابهم في شأن صياغاتهم في فنون الكتابة، مثيرا فيها صناعة الشعر اللفظية، وكيف (صيغت المجازات والاستعارات الفارسية)[٦] ، وا بدا منها من مفارقات إسلوبية ، قد تذكرنا بفردوسي صاحب الشاهنامة.

أما في خطاب الأدب والنقد الحديث، فلا شك أن ثمة نقاد ايرانيين قد اشاروا الى نسق المفارقة في مقالات بحثية، أو دراسات تطبيقية ، وقريب من هذا الفهم ما قاله الكرماني: ((إن المعنى وليس اسلوب التعبير هو الذي يمارس التأثير الحقيقي على القارئ))[٧] ، حين تكون المفارقة علامة منتجة داخل منظومة لغوية موجهة.

ولعل أوضع صورة من صور المفارقة نلحظها في خطاب الأدب الفارسي الحديث ، ما جسدته رواية (عمي نابليون)، للكاتب (بيز شكزاد) بما حملته من نقد اجتماعي وسخرية جعلتها واحدة من أهم الاعمال الإبداعية في إيران، بل اصبحت شخصيات الرواية ومضمونها مرجعية في التخيل الايراني، حتى قيل: إن جيلا ايرانيا كاملا نشأ على روايته الساخرة، ذات الشعبية المذهلة[٨].

وانا أحسب أن مناقشة درس المفارقة في الأدب الايراني الحديث شعراً ونثراً، له قصديات مختلفة، وتمثيلات متباينة كظاهرة إبداعية جمالية، لها اسلوبها الخاص انتخابا ثقافيا في الذهنية الإيرانية، بما تحمله من افتراضات التلقي في جمهورها.

ت- مفهوم المفارقة

يستدعي مفهوم المفارقه ارتدادا الى الخلف ، بوصفها جزءا من نمط حياة نعيشه، يمكننا أن نعثر عليه في ثنيات المجتمع، في ملفوظهم اليومي، حين يتواصلون مع بعضهم لغايات مختلفة، متوسلين اللغة بما تضمنته من تضاد وتناقض وتمويه، وبما حوته من ظواهر لسانية، لها بعدها القصدي، سخرية أو تهكما أو استهزاء، اذا المفارقة افصاح كلامي نتمثله يوميا بوصفها ((تقوم على ادراك حقيقة ، أن العالم من جوهر ينطوي على تضاد...، عرضة الى تفسيرات شتى لا يكون واحدا منها هو الصحيح...، وتدرك أن وجود التنافرات معا، هي جزء من بنية الوجود))[٩].

وهذه النظرية للمفارقة ربما توسع من افق تعاملها في حركية المعنى وارتحالاته ، لأنها تشي بانفلات بنية النص من التحديدات الدلالية، نحو انزلاقات تفك قيود اللغة وتبعياتها المرجعية الى اخرى مراوغه، تحمل في ثناياها انزياحا، يولد عنه الضد ونقيضه، وبه تتضح فكره المفارقة.

فهي انتخاب لساني تؤدى فيه ذات المتكلم خلق اشارات مراوغة أن يقول شيئا في ظاهره، لكن مضمره خلاف ظاهره ليواري برسالته ثيمة أخرى، أو يستنطق المتلقي مدلولا مفارقا لدال الرسالة[١٠]. وهنا تكمن استراتيجيات المفارقه، بوصفها علامة ترجئ اختلافات - بلغه دريدا - لعلامات أخرى مؤجله فيها.

وعطفا عليه نعتقد أن المفارقة يجب ان تتضح فيها مبينات، منها[١١] :

١-الايجاز في توسلها بنية لغوية مقتضبة

يسيرة، كفاية مقصودة من المرسل الى المتلقي، لتؤدي مفهوم المفارقة بأقل اجزاء الكلم، معنى ومبنى كومضة شعرية تستفز ذهنية المتلقي.

٢-خصيصة التضاد، فهي أوضح الاشياء في تداعي المعاني، فيما يلتمسه المرسل من مراوغة في الفاظه، فكرة مقصودة نحو التضاد، الذي هو (شبكة من العلاقات اللامرئية في النص، يقوي اللغة الشعرية وبنيتها الداخلية)[١٢].

٣-المفارقة ضرورة إبداعية، إبلاغيه، جمالية، تستمد صيرورتها من تشعبها، مقاما وسياقا، ذاتا وموضوعا، نفسية واجتماعية، متناصة مع الثقافة ، التاريخ، الدين...، إنها رهانات لا تنفصل عما يحيط بها من مرجعيات مختلفة ، لتثير قرائها تأويلا لفك محمولها الدلالي.

ث-اشكال المفارقة

لابد للقارئ أن يعرف أن المفارقة لها اشكالها التي تتيح للقارئ أن يعاينها في تأمله للنصوص الإبداعية، وهي تمثيلات تستفزه حدسا وتخمينا، بحسب صوغ اساليبها، وطرائق التعبير عنها، وهو ما تناوشه الباحثون في درس المفارقة، وقد لخصوه في الآتي[١٣].

١-المفارقة اللفظية يراد بها أن يكون معناها المقصود فيها، مناقضاً أو مخالفا للمعنى الظاهر، بقصد السخرية أو الازدراء، وهذه المفارقة يتوسلها المبدع عبر تقنية التضاد ، سواء أكانت مفارقة الابراز أو مفارقة النقش الغائر.

٢-مفارقة الحدث أو الموقف: تحديدها يتوقف على الشاعر ، حين يبث التقاطات الحياة وأحداثها مما يحيط به، تاركا للمتلقي استنطاق تعارضاتها المضمرة داخل بنية النص، أو ربطها بسياقها الخارجي، ولهذه المفارقة تصنيفات فرعية، مثل: التنافر البسيط، مفارقة الأحداث، المفارقة الدرامية، وغيرها.

وهناك من الباحثين من يعطي تقسيمات أخرى للمفارقة على وفق درجاتها، صريحة أو خفية أو خاصة، وهناك من يرجعها الى طرائق ابداعها، شخصية، ساذجة، ممسرحة، ونحو ذلك من تفريعات اخرى[١٤].

المحور الثاني : المقاربة التطبيقية

١-المفارقة اللفظية

يمكننا القول بان المفارقة اللفظية لها طريقه نظم، مرتبطة بالمعاني التي تطرأ على القول، أو تتغير من سياقٍ الى آخر، على وفق علاقات تلك المعاني بمرسلها، وبظروف القول وملابساته، ومنه تكون تلك المفارقه اللفظية، مقولا معناه المقصود مخالفا لمعناه الصريح.

قد توسل الشاعر(مالك العبدي) المفارقة اللفظية بنوعيها في خطابه الشعري، حين وظفها بوعي ابداعي ومعرفي، يسهم في انفتاح الدلالة لدى القارئ، مستثمراً سمات الخطاب الشفاهي(التضاد)، بما له من بعد تداولي، يسمح بانفتاح المعنى

نحو حالات مرجعية مختلفة.
ومن تمثيلات المفارقة ما تجلى في قصيدته المعنونة (العصافير تضرب عن الطعام) يقول فيها:

ويـــنتقـــم الصـــبـــــر..
مـــن التماثيـــل اللا أبكـــار
ويغتاظ عليَّ الهاتف الجـــوال
حيـــن تلقيـــني الاسمـــار
فـــي زيـــت النكايـــات[١٥]

إن المتلقي يرصد علامات متحولة منتقلة، ذات نزوع تدريجي في ارتباطها النفسي بذات قائلها، لكن المقطع الأخير(في زيت النكايات) ومضة مفاجئة، يشعرنا يقينا أن تلك(الأسمار) هي شيء زائف لأن نطق الشاعر بها يحيلنا الى معنيين، ظاهر وباطن لما استنطقه من دال مغاير، إذ (انا) أصبحت (نكايات)، دون أن يصرح بمضمونها، فثمتة مفارقة بين نغمة (الأسمار) وهي تحيل الى دلالة الانس والصحبة، وبين الدال(الكنايات) التي تشي بالإزعاج والخديعة لدرجة أن المتلقي يستشعرها لحظة القراءة، كأن الشاعر يعمد الى مباغتة القارئ تحولا في دفقة شعورية تتسم بالاختزالية، ليعيش المتلقي الدهشة، وهو يستحث ذاكرته تفاعلا مع النص المقروء.
وفي قصيدته المعنونة (انشودتي أنت) يعمد الشاعر (مالك العبدي) الى تكتم ينبثق عنه إساءة قراءة _ بلغة دريدا_ تستوجب قراءة أخرى يقول فيها:

إنشودتي...
أنت
وفقدانك اياي
فوز
في فلق متشائم[١٦]

دوال تنبئ عن علاقات لسانية تخضع لإدراك المبدع، لأنها من استنطاق مخيلته وهمومه، حين يكون(الفوز) قد آل الى (فلق متشائم) وقد أسهم هذا المقطع في صياغة وعيه بها (الانثى) ليغير النظرة النسقية ويقفز من دال الى آخر، مبدعا مفارقة قد بررها عدولا ابداعيا .
واتماماً في تبدل نسق خطابه الشعري، يقول في الفقرة الأخيرة من تلك القصيدة

الى حيث الغايات المكتوفة
سرنا
وايامنا تخلو من الرياحين
سرتم
وليالينا
تحلو بقساوة الهزائم المعتمة[١٧]

نسج يقوم على التكثيف الدلالي، فيه الشاعر يباغت قارئه، حين يصوغ نصه بدلالات تشكل عالما يوحي بسيرورة السعادة المضطربة القلقة، عبر صيغ ينتجها المحور التركيبي، سرنا لكن (الغايات مكتوفة) ، سرنا لكن ايامنا تخلو (من الرياحين) وليالينا تحلو(بالهزائم المعتمة)، ربط تداولي يصدم القارئ

باللاتماثل، بما جسده من مكبوتات، هي بؤره القصيدة وختامها.

إنه يقول بما يوحي بالسكينة والانس من ملفوظاته (سرنا، سرتم،...)، ثم يباغت نسقه التركيبي بما يضاده (مكتوفة، تخلو، قساوة...) بطريقه الفلاش الذي يضيء سريعا، وقد ختمها عن مكبوته (بقساوة الهزائم المعتمة) ، كاشفا عن لحظات ارتداد، مفارقه إنزاحت كومضة، حين نسج الشاعر دوال العشق، لكن أتمها - من طرفه- أنها زائفةٍ ، خادعةٍ، مما يجعل القارئ يستشعر الدهشة في تلك المفارقه الهادفة.

وفي قصيدته (بين عينيك) يبنى الشاعر معماراً مرئياً واضحاً عن تلك المرأة / الحبيبة، ليؤكد أنه يعايشها مؤنسا بها، إذ يقول[١٨]:

بين عينيك
وأوتار الكمان

ثم يقطع ذلك النسج الدلالي، باستدراك نصي مغاير مفاجئ:

وعد غير مكذوب

ليعيده توازيا آخر، بقوله:

وبين نبضات القلب
وأزرار البيانو

ليكرر مباغتته بقوله:

عقد غير مكتوب

ليعيد تشكيل النص بذات التركيبة، فيقول:

وايمان البلال

لكن أنا الشاعر تقوضها بأنها : لا اعتبار لها

بهذه الآلية يتشكل نصه، مراوغا في نقض ما يقوله، كأنه آلية دفاع نفسية يبني ثم يهدم، ليكسر أفق القارئ ((من خلال مفارقة غير متوقعة، بين شيئين مختلفين...، لا يشتركان في طبيعة واحدة))[١٩]، ما يجعل القارئ يصمت أمام انعطافة المقول الشعري، كون تلك المفارقة أحدثت رؤية دلالتها مقصودة عن حالة التأزم النفسي للشاعر وهو يؤسس عالمين، الأول (وعد غير مكذوب، عقد غير مكتوب) والثاني (لا اعتبار لها)، دلالتان متعارضتان، توجب الدهشة في إبصار الشاعر لذاته، ثم عدولة نقيضها، والذي هو مضمرها الأصل.

أما النوع الثاني من تمثيلات المفارقة اللفظية، ما يصطلح عليه المفارقة الملحوظة، تلك التي يتلفظها المبدع قولا شعريا، وهو عارف أنه يساء فهمه من طرف المتلقي، لما فيها من النبل من ذاته والاستخفاف بها[٢٠]. وهي تقترب في منحاها الى الدراما، بوصفها ((تشترط إقامة مسرح ذهني تقوم فيه بدور المراقب، لنرى الموقف بوضوح كما هو عليه، ونشعر بعض الشيء بقوة اللاوعي المطمئن لدى الضحية))[٢١]، مما يترك القارئ في مفارقة البحث عن المعنى المضمر، أو المبثوث وراء النص المقروء ظاهرا.

ونرصد في قصائد الشاعر(مالك العبدي)

توظيفا فاعلا بانتقائه كلمات موجهة نحو المتلقي، بقصدية تأثيرية، من ذلك ما جاء في قصيدته المعنونة (حي على السماء) يبدأها بقوله:

أتمناك
في رحلة طويلة
الى السماء
حيث سرت فيك الأخيلة
وسرت مع النوارس
وحيث طارت معك الألوان
وعسى أن انمحيت
حين استوقفتني خطاك
واستودعتني
أنفاسك [٢٢]

سرد متعال للشاعر عن ذاته، معلقاً أسباب فشله في (رحلته الطويلة) على الآخر (الأنثى) التي تركت أثر عميقا في وجدانه، واصفا بصمات وجعه وأنينه، في رؤياه (أتمناك) لكل ما يسكن قلبي وقد تعمد الاختلاف في صياغة (أتمناك) حين جسدها بأسلوب اشبه ما يكون دراميا (في رحلة طويلة، الى السماء، سرت مع النوارس، طارت معك الألوان) بما يشي عن رقة متناهية في الحب.

لكن الشاعر يفاجئ القارئ تضادا في دلالاته، حين ينال من ذاته، بمعان نفسية، مؤطرة بقلقة (حين استوقفتني خطاك، استودعتني انفاسك)، كاشفاً عن كينونته، (الضحية) وآهاته، فكانت تلك الانعطافة اسقاطاً لما يحتمل في ذهن الشاعر، عملية خيالية (اللاوعي)، مقترنة باتمام المشهد للمتلقي، مجسدة مفارقة شعرية، حين تجسد فائض ازدرائه لمكبوته الممتلئ آهات ومعاناة، إزاء الآخر/ الحبيبة.

إن الشاعر (مالك العبدي) يكثف سردياته في لوحات شعرية اخرى، تستنطق حضور المرأة (الحبيبة)، إحساسا دائما في عالمه، فكره، اشيائه، مكانه، زمانه...، مجسدا ذلك في آهات شعرية، من ذلك ما تمثله في قصيدته المعنونة (فليت الخريف) ، يقول فيها:

...
وبالأمس
استقالت
هوادج قرطاسيه
من ضيافة الاسطر البالية
... ...
... ...
...
فمات الخريف...
فكنت الخريف[٢٣]... ... /

تجسدت تلك القصيدة(الومضة) اشتغالا حداثياً ، من خلال تقنية التنقيط بين المقطعين، عنصراً جمالياً ، يتركه للقارئ مكملا فراغاتها، وعلاقة رابطة بين ما قبلها وما بعدها.

في المقطع الاول إتساق موجز عن رؤياه في المتخيل، ثيمة تجسد قناعاته بها ومعها (متخيل الأنثى) وهي ما زالت حية في نفسه (و بالأمس) دال يشير الى علاقه

تكتم، ثم يترك فراغات(تنقيط) بعد هذا المقطع ليفاجئ القارئ انحرافا عن مسار(الأمس)، نصاً مفارقاً عن المقطع الأول، مراوغاً في صياغته الشعرية، الى ثيمة أخرى غير متوقعة (مات الخريف، كنت الخريف)، هنا تجسدت الخاتمة مفارقه عن مطلع القصيدة، كومضة خاطفة ((تعتمد على لغة المفارقة وبنية التضاد، على مستويي الألفاظ والمعاني،... منتهية بنوع من انواع المفاجأة والادهاش))[٢٤]، في لغة دالها نفسي، تنطق شيئا مبعثرا من جراحاته المضمرة بذكرياه.

ومن تمثيلات المفارقة الملحوظة، ما جاء في قصيدته المعنونة (الظلال الرملية)، وقد جسد فيها نمط الأداء الشفهي، الذي يشتغل على حاسة الارسال البصري، يقول فيها:

كنت ظلا..
رمليا..
تطوف علي ذكراك
بين الجدران القديمة
والازقة المبلولة
والموسيقى التي أحببتها
طافت على[٢٥]

عند انعام النظر فيها، نلمح تكريسا للأداء الدرامي، فثمة انساق للافكار، تنفتح وتتنامى، نستطيع معها تحديد رؤيتين، تفترض وجود نصين متجاورين، إدماجا، أحدهما مكتوب والآخر شفهي، الأول صوت الشاعر والثاني الآخر المضمر، بينهما ما يشبه المونولوج الداخلي، صوتان متباينان، أو يبدو منهما الانفصال شكلا بصريا، لكنهما ملتحمان ولادة و همومما، وهنا تكمن المفارقة في صوغ الحدث ذهنيا، تاركا المساحة للقارئ في استنطاق معناه، حين يتقن الشاعر توظيف أدواته البصرية متمثلة في (المد النقطي) الماثل قبالة دول بعينها، تفترض قراءة واعية لخبايا تلك الفضاءات المفتوحة .

انجذبت إلى....
فاستذكرت بها....
سكون ....
وضاق... [٢٦]

نلحظ في طريقة السرد التي توسلها الشاعر اقترابا واضحاً من طريقة الأداء في قصيدة النثر، وقد سلمنا بها – كقراء- وعي ذاته في (انجذاب، استذكار، سكون) إلا أن المشهد يتغير أزمة قلقة ، نتلمسها بقوله :

واذا بي ...

في هذا الاستدراك (واذا بي) نتلمس تحولا سلبيا، فيه درامية مفارقة تحيلنا الى اللامبالاة وغياب التذكر، وقد أتمها بقفله تكثف وتختزل قلقه الى اللاأمان، بقوله:

واذا بي ...
تجسمتك
طائرة ورقية
يربطني بك
خيط رقيق بيد الصبيان[٢٧]

كانت تلك القفلة هوية عالم الشاعر

التخيلي، حيث أدمجها بتمثيل (طائرة ورقية بيد الصبيان وخيطها رقيق)، خلاصة ما يربطني بك، مفارقه عبثية بين مشهدين، الأول (انجذاب، سكون،...) والثاني مغاير للأول، بل هو وهم، ملامحه (خيط رقيق)، منه نستخلص منطق اعتراض، حين يكون (بيد صبيان)، وتزداد الوطأة (طائرة ورقية) تلك التي تمثل الجانب الآخر من ذلك الخيط، ثمه رمزية تجعل القارئ في حيرة من كسر افق توقعه، في رسم ذلك المشهد بقصدية تحيلنا الى اللامبالاة من الطرف الآخر.

٢- **المفارقة السياقية**

علاقه الشاعر بالمواقف التي تحيطه علاقة لا حدود لها، وهي علاقة تبين مدى حذقه وصنعته في رصد المواقف، حيث يتوسط الاحداث، متفاعلا معها بوعي، ومعايشا لها اطارا معرفيا، مصوراً إياها في صيغ علامات لغوية، منفتحة تأويلا، ليستنطق المتلقي معانيها المضمرة، كاشفا دلالات التضاد بين ظاهر النص ومضمره، أو بين تعارض الذات الشاعرة مع محيطها.

والشاعر (مالك العبدي) يدخل عالمه الرمزي من خلال المفارقه السياقية، عبر حكائيات تتكأ ((على الاحداث ، والتعرض لها على المستويين التاريخي والأيدولوجي، ومن ثم تأتي أهمية الشخصية التي هي ضحية المفارقة))[٢٨] ، يوصف الأخير (صاحب المفارقة) يقول شيئا ومراده شيئا آخر، أشبه بخداع الوجدان .

ومن أنواعها المفارقه الدرامية، تلك التي يعرضها الشاعر بطريقة فيها شيء من السردية، لكنها لا تنغمس فيها، مفارقه تتجلى ((عندما نرى شخصية ما تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها من امور، وخاصة عندما تكون هذه الأمور، بالصورة التي تراها الشخصية متناقضة تماما لوضعها الحقيقي))[٢٩] ، لان ثمة تناقض بين الظاهر والمخفي (الحقيقة)، وهذا المخفي يعلمه الجمهور، كما يعلم ضحية تلك المفارقة بواقعه المزيف.

في قصيدته المعنونة (رقاق نهديك) يقول فيها :

ساعديني حين الانشاد
يا ملهمة...
شعرا...
وخواطر:
احميني..
حين أنفى الى مهجر الكلمات
امطري علي
واسقني طهورا
من عذب التعابير
وقيني
وسوسة الموسيقى الخناسة
واللفظة الشرود
استريني
حين تجردني العيون الشهوانة
من عذرية الشعر

وتنزع عني
رداء العفة
هيئي للزمهرير
قطعة من حلوى الكائنات
واطبخي
خبزًا
من رقاق نهديك[٣٠]

نلحظ فيها استثمار الشاعر تطويع السرد، ليستوعب مشاعره ووعيه، ووصفا عن ذاته في برقيات، بنيت أسطرها، في تقنية قصيدة الومضة، تتكون من ثلاث جمل أو أربع، مكثفة ثراء دلاليا وتجسيدا لفعالية ذات الشاعر، وهي تخلق صراعا متناميا، تمثل بين سرده – على شكل مقاطع- ، وبين استجابته في تشكل هويته ضحية (احمينـي، قينـي، استريني) .

إن ثمة مفارقة تجلد في سخريته المضمرة لتلك المقولات، حين تتأمل الاشارات العلامية، وقد شحنتها بمعان مموهة (أنفـى/ امطـري عـليَّ ، قينـي/ موسيقى خناسة، تجردني العيون/ تنزع عني، هيئي للزمهرير/ حلوى الكائنات) إنها نسق يؤسس انسلاخا بين ذات الشاعر صوتيا وبين عالمه الواقع.

إذ القصيدة- في مقاطع سردها- تؤسس لوحات ترسم عالمين (لعاشقين)، وقد توسل الأول (الرجل) غرائزه في الثاني (المرأة) في أبجدية وجدانه، على نحو واضح (ملهمة، عذب، التعابير، عيون شهوانية، عذرية...)، ومع أن تلك المفردات ظاهرها خطاب تواصلي، لكن مراميها علامات مراوغه يخفيها الشاعر معاناة ، نتيجة تردده بين صوته المكبوت وبين رغباته المتمردة، ليعيش حالة ذهنية بين ذاته معطى ظاهرا ، وبين وعي الجمهور به معنى مضادا.

ومن قصائد الشاعر التي هندسها بهذا النوع من المفارقات، قصيدته المعنونة (شلال الضفائر) يقول فيها:

شعرك شلال
واحتاج الى أكثر من لسان
لأصفه
برخصة المفردات
بتذويب الأحاسيس الجامدة
في كبد الاعاصير
واحتاج الى اكثر من قلب
لأهب لك
قدرا كبيرا
من نبضات
من الميوعة الباطنة[٣١]

ثم ينهيه بقفل ليبدا مقطعا آخر، بذات الترنيمة :

واحتاج لأكثر من روح
لأنفخ فيك منها
لئلا اموت بعد النزوح

إن تكرر المقطع (واحتاج) بذاته مفارقة ابداعية، يصوغها نسجاً سردياً، يقترن بثيمتين، الأولى تتعلق بتوصيف (شعرك) المتماثل مع إنفعالات الشاعر، وتوتره الذي يدفعه الى تكرار النمط انشادا (احتاج

الى اكثر من لسان، احتاج الى اكثر من قلب، احتاج الى اكثر من روح) ، والثانية تتجلى في صوت آخر يتمثل في هدم ما يحتاجه منها، بل النيل ومنها بطريقة النقيض المفارق، حين ينطق الما يدميه (أحاسيس جامدة ، ميوعة باطنة ، اموت بعد النزوح، استرحمت الاقصاء، ندمت، تسكاب مضل...)، وغيرها من صوت الألم الذي يبثه الشاعر في مقاطع أخرى متممة ((غير متوقعة ، بسبب تضاد طرفيها، ومثل هذه تحقق مفارقات مفاجئة))[٣٣] ، تقود القارئ الى كسر النمط المألوف، لأنه (النمط) يباغت المتلقي من حيث لا يتوقع.

نستنتج ثمة صراع مؤلم في كمونه واستتاره بما يحمله من مفارقه تعمق دلالة التوتر، بين وجود ثم هدم، بين أوجاع (احتاج منك)، وأخرى نقيض لها، تلوح بضديدها، لترسم مفارقة مغايرة، تتجلى في تنازع المشاعر والأحاسيس، وقد أخرجت منها الضحية(أنا الشاعر) من تلك الدائرة المتضخمة، بأوجاع مؤلمة، تحث القارئ على تتبع علاماتها، واستنطاق سيرورتها في النص.

اما المفارقة الرومانسية التي تعد من أنواع المفارقة السياقية، فقد لحظنا الشاعر يتوسلها تباينا بين واقع وهمي يشيّده (الشاعر)، ثم في دهشه يحطمه، شعورا منه بخيبة ذلك الوهم((وتحطيمه من خلال تعبير أو انقلاب في النبرة والأسلوب، أو من خلال ملاحظة ذاتية وعابرة ، أو من خلال فكرة عاطفية عنيفة ومناقضه))[٣٤] ، بوساطتها ترسم المفارقة تناقضا، يوحي الى ما تخفيه كلمات الشاعر، المنسوج من تأمله حين((يقدم نفسه واعيا بطبيعته المتناقضة))[٣٥] وبها تتحقق المفارقة الرومانسية في قصيدته المعنونة (حضن الموسيقى) يقول فيها:

أحضن موسيقاك
فأتحول قصيدا
ويستحيل قلبي
في حسابات الحب
رصيدا
وتنمو زهور فيكتوريا
والدانتيل الأبيض
وتنضو
أبهة التين الشوكي
فأرجو من مبتغاك في زرع الدلال
حصيدا[٣٦]

ثم يمعن الشاعر تداعياً على مقولته الأولى ، فيفيض تدفقاً شعورياً :

وأرجو
ما يخالجني عندك[٣٧]

ثم يقفلها أنه لا حيله له بقوله:

فكيف لا أرجو
وأنت السلامة
وأنت الملامة
وفيك الهلاك[٣٨]

تنهض القصيدة على بناء يسرد عالماً تتراءى منه الحقيقة/ الوهم، متمثلة بما

تفصح عنه دوالها (أحضن موسيقاك، أنت الهدى المطلق، أنت السلامة، زهور، فيكتوريا، الدانتيل الأبيض...)، دوال تشيع إشراقا هادرا للحب والود والصفاء، إنها خيوط مشهده الخارجي، بما تحمله من دلالات تومىء بحضورها في واقعه لا في شعوره، بدليل أن المفارقة تتضح حين تنساب من خلالها دوال، هي نقيض ما بناه الشاعر، حين اخبرنا أنه هدم ذلك الواقع الذي بناه، بقوله (انت الهلاك، والعزف الطالق) مخالفا ما تمثله أول مرة ، وهنا تكمن المفارقة الرومانسية، بين عالم مخلوق لكن حقيقته وهمية، تكشف عن تناقضات الأنا مع مضمرها، محدثة تحولاً في ذهنية القارئ بكسر إفق توقعه، بين مشهد عالم الأمل، ثم هدمه بعالم الألم والنكوص.

من جانب آخر اشار الباحثون الى نمط التنافر البسيط، نوعا من أنواع مفارقة الموقف، ويكون عادة في الافعال لا الأقوال، إذ ترتبط فكرتها بالنفي، بسبب عدم التوافق بوجود المخالف ضدا، كلاهما في إتجاهين مختلفين لا يمكن الجمع بينهما، ووجود أحدهما يفترض وجود الآخر ضديده تحصيلا فكريا، ((يوقظ ذهن القارئ، وينبهه لوجوب تحويل مسار القارئ من رتابة النص علوا وامتدادا وارتدادا في جميع الاتجاهات))[٣٩] ، ونلمح تمثيلاً لتلك المفارقة في قصيدته (أنشودة انت) يقول فيها:

إنشودتي
أنت
وفقدانك إياي
فوز
في فلق متشائم
وشكري لك
في ورطة
وسط المعاجم[٤٠]

يمثل المقطع اعلاه مفتاح القصيدة، يعرض فيه الشاعر فكرته في التنافر، بنكهة الومضة المكثفة الدالة عن واقع شعوره، وقد جسدها من خلال التعارض، صياغة تهكمية ((لكشف ما في الحقيقة الواحدة من تناقضات، أو هي توحي بكشف المتناقضات في هذا العالم))[٤١] ، يستدعيها في توصيف علاقته بالمرأة، فهي عنده (انشودتي انت) لكنها دوال مبعثرة (في ورطه)، ومن هذه الورطة تتضح وجهه نظره في تعميق احساسه في افتضاحات أخرى

إني اليك
ووحشتي متربصة
حزني منوط
... ...
... ...
... ...
إنا اليكم راغبون
أنتم علينا معتدون
إنا سمونا بالإنشاد
وتعطرنا بالتسطير

أنتم جفوتم الاقلام
... ...
فسرتم وسرنا
... ...
... ...
... ...
... ...
وأيامنا تخلو من الرياحين
سرتم
وليالينا
تحلو بقساوة الهزائم المعتمة[٤٤]

لقد قال الشاعر كل شيء في حبك متقن، صانعا به رؤيا التضاد مفارقة شعرية، تنطوي على ثيمة الاقصاءات المضمرة:

فقدانك إياي _____ فوز
شكري لكم. _____. في ورطة
إني اليك_____ وحشتي متربصة
إنا اليكم راغبون_____ أنتم علينا معتدون
إنا سمونا بالإنشاد_____ أنتم جفوتم الاقلام

|. |

من المؤكد إن هذا التنافر/ المفارقة ليس أسلوباً بديعياً يتوسله الشاعر لعبة لغوية ، بقدر كونه هوية ذاته، صيغت في مفارقة لسانية ((ينفتح بناءها المغلق على قراءات متعددة، ذات دلالات معينة، وقارئها هو الذي يحاول الوصول الى هذه المعاني، بفك شفراتها))[٤٣] واكتشاف تناقضاتها.

ويكتمل مشهد التمثيلات في قصيدته المعنونة (احتاجك) إذا يروم فيها تقديم ومضة شعرية، فيها ادهاش للقارئ، حين يدبجها عبارات مضادة، مثيرة في تجاوزها الحيز المرئي على الورقة، يقول فيها:

احتاجك
في بعض طبقات الجنون
في بعض ما يحملني اليه
معازف الثبور
ويعصرني فيه أنامل الغربة
يا جفنا موهوبا
لقلب مفطور
احتاج انقطاعك
عن مرح الالوان
ونزوحك
....
... ...
... ...
تنحي عن تعذيب القمر
اثناء الخسوف
واتركي تهجير الزنابق
واكتفي[٤٤]

ثم يسترسل في توصيف تناقضاته بين المظهر والحقيقة، ليختم قصيدته بقفلة تكشف ما قبلها ، فيقول:

أنهي
جلجلة التزوير
طوعا[٤٥]

في هذه القصيدة لجأ الشاعر(مالك العبدي) الى تكثيف دهشة المتلقي ،

حيث رصد دوالها بدقة من مطلعها الى منتهاها، مزاوجاً فيها بين إسلوبية مفارقه التنافر، وبين استحضار تجربته الذاتية ألماً وخيبة وانكساراً، حيث تصرخ حواسه توصيفا للتناقض الذي يعيشه، صانعا من ذلك مفارقة، بها((يستطيع أن يناور فيلعب على الشيء ونقيضه، والشيء وما يعارضه، بمهاره فائقة))[٤٦] ، مخاطبا حواس القارئ، مستدرجا اياه في خلق عالم من آليات بلاغية، تحمل في مضمونها مفارقات متناثرة، تفنن الشاعر في إبتداعها لأحداث الدهشة على المتلقي، ذلك حين تتغير علاقات الدال بالمدلول، بحيث لا تصبح تابعة لمعناه، انما تصبح متشظية قلقه، فثمة تحولات في مدركات ذات الشاعر، مع وقائع عالمه، اثراً وتأثيراً، في تدفقات شعوريه تتسم بالتناقض وانتهاك ثوابت القول:

احتاجك ← في بعض طبقات الجنون
← في بعض ما يحملني اليه الثبور
احتاج ← انقطاعك
← نزوحك

مفارقه تخرق الثوابت، حين تنبع من داخل(احتاجك) لغه نقيضه لها، ثم يعود مكمل نسج القصيدة مغايراً ثيمة دلالتها:

تنحي ← عن تعذيب القمر
اتركي ← تهجير الزنابق
انهي ← جلجله التزوير

كأنه يقدم مشهدا مغيرا لسابقه، فبعد(الاحتياج) في لحظاته التصالحية مع الوهم/ الذات، يكسر افقنا في اقصاء متوتر ((يعتمد على لغة المفارقة وبنية التضاد، على مستويي الالفاظ والمعاني...، لتنتهي بنوع من أنواع المفاجأة والادهاش))[٤٧] ، بخلق علائق جديدة، منزاحة عن سابقها، يروم الشاعر توسلها لغة لآلمه معاناته، محققا بها مفارقة تضادية ليتأملها القارئ، متاهات مفتوحة الدلالات.

الخاتمة:

نحسب أن البحث يقودنا الى جملة نقاط، منها .

١-كانت وما زالت المفارقة الشعرية عنصرا إبداعيا بلاغيا، وقد توسلها الشاعر(مالك العبدي) سمة أسلوبية، اشتغلت على مساحات واضحة في مجموعته (زيتونة لا شرقيه)، محدثة أثراً جمالياً على بنية القصيدة.

٢-المفارقة- بتجلياتها المختلفة- تم استدعائها من قبل الشاعر لقصدية أنها تمثل بوح وجدانه ومشاعره الذاتية، وكشفا عن تناقضات العالم الذي يعيشه، لا سيما تقلبات العشق والهوى الذي مثله الآخر/ المرأة.

٣-تنوعت مظاهر المفارقة في مجموعته الشعرية(زيتونة لا شرقية) على وفق تمثيلات مختلفة صوغا ونسجا، بل ربما وجدنا في قصيدة واحدة نمطين او ثلاثة من انواع المفارقة الشعرية

٤-استطاع الشاعر (مالك العبدي) توظيف المفارقة سردا حكائيا، مازجاً إياه مع خصوصية تجربته في المونولوج الداخلي، لما يحققه من ادهاش في ذائقة التلقي .

٥-كان الشاعر (مالك العبدي) على وعي تام بأدواته اللغوية والتركيبية، محققا بوساطتها انزياحات شعرية مفتوحة في فضائها التأويلي.

هوامش البحث

١-ينظر لسان العرب(مادة فرق):١١/١٦٩

٢-المفارقة وصفاتها، دي سي ميوك: ٦٣

٣-المفارقة والأدب، خالد سليمان: ١٧

٤-المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر شبانه: ٢٨

٥-ينظر: أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرداشتية، ٣٥

٦-ينظر قصة الأدب في العالم: ١/ ٢٨٦

٧-فن الكلام والكتابة، ميرزا اغا الكرماني، مقال على شبكة الإنترنت

٨-ينظر: عمي نابليون، روايات خالده، رشا المالح، مقال منشور على صفحة الإنترنت، مجلة البيان:https//www.albayan.ae

٩-المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي: ٤

١٠-ينظر: المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم: ١٤٣

١١-ينظر: المفارقة في الشعر العربي الحديث: ٥٨

١٢-ظاهرة التضاد ودوره في الترابط النصي في رسائل الحنين الى الياسمين، لغادة السمان: ١٣٧

١٣-ينظر: المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك: ٢١، المفارقة والأدب:٢٥_٢٦

١٤-ينظر: المفارقة في الشعر العربي الحديث: ٦٣

١٥-مجموعة زيتون لا شرقية: ١٤

١٦-م. نفسه: ١٤

١٧-م. نفسه: ٣٤

١٨-م. نفسه:٧٩

١٩-البلاغية في البلاغة العربية: ١٤٠

٢٠-المفارقة في الشعر العربي الحديث:٦٥

٢١-المفارقة وصفاتها: ٨٠

٢٢-مجموعة (زيتونة لا شرقية): ٣٩

٢٣-م. نفسه: ٦٥

٢٤-فن الابيجرام في الشعر العربي المعاصر:٦٦
٢٥-مجموعة (زيتونة لا شرقية): ١٧
٢٦-م. نفسه: ١٨
٢٧-م. نفسه: ١٨_١٩
٢٨-المفارقة بين النظرية والتطبيق، عبد الناصر حسن: ١٦٧
٢٩-المفارقة والأدب: ٣٠
٣٠-مجموعة (زيتونة لا شرقية) :٦٦_٦٧
٣١-م. نفسه: ١١٧
٣٢-م. نفسه: ١١٨
٣٣-المفارقة في شعر الرواد: ٢٨٨
٣٤-المفارقة والأدب:٦٩
٣٥-المفارقة وصفاتها: ١٠٩
٣٦-مجموعة (زيتونة لا شرقية): ٩٢
٣٧-م. نفسه: ٩٢
٣٨-م. نفسه: ٩٣
٣٩-تحرير المعنى دراسة نقدية في ديوان أدونيس: ١٢٠
٤٠-مجموعة (زيتونة لا شرقية): ٣١
٤١-المفارقة والأدب: ٥٨
٤٢-مجموعة (زيتونة لا شرقية) : ٣٣_٣٤
٤٣-شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي: ١٣٣
٤٤-مجموعة(زيتونة لا شرقية):١٠١_١٠٢
٤٥-م. نفسه: ١٠٣
٤٦-الشعر والتلقي: ٨٤
٤٧-فن الأبيجرام في الأدب العربي المعاصر: ٦٦

المصادر والمراجع:

١-الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٩٣
٢-أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، خليل عبد الرحمن، دار روافد للثقافة والفنون، دمشق، سوريا،ط٢، ٢٠٠٨.
٣-تحرير المعنى، دراسة نقدية في ديوان أدونيس، اسميه درويش، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٧
٤-زيتونة لا شرقية، مالك عبد الرسول العبدي، إيلام، ايران،ط١، ٢٠٢٣
٥-الشعر والتلقي، دراسات نقدية، علي جعفر العلاق، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧.
٦-شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي، نعيمة سعدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، الجزائر، مجلد:١٤، العدد:١، جانفي،٢٠٢١
٧-ظاهرة التضاد ودوره في الترابط النصي في رسائل الحنين إلى الياسمين، لغادة السمان ،د. صادق عسكري، بريستو سنجي، مجلة بحوث في اللغة العربية، كلية اللغات الأجنبية، جامعة اصفهان، مجلد: ١٤، العدد:٢٧، كانون الأول:٢٠٢٢
٨-عمي نابليون، روايات خالدة، رشا المالح، مقال منشور على صفحة الإنترنت، مجلة البيان، https://www.albayan.ae
٩-فن الابيجرام في الأدب العربي المعاصر، د. عبد الله رمضان، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦
١٠-فن الكلام والكتابة، ميرزا اغا الكرماني، مقال على شبكة الإنترنت
١١-قصة الأدب في العالم، الجزء الأول، زكي نجيب محمود، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، مصر،

ط٣، ٢٠٢١
١٢-لسان العرب، ابن منظور(ت_٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣.
١٣-المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠
١٤-المفارقة بين النظرية والتطبيق، شعر صلاح عبد الصبور أنموذجا، عبد الناصر حسن محمد، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٤
١٥-المفارقة وصفاتها، دي. سي. ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.
١٦-المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي، حسني عبد الجليل يوسف، الدار الثقافية للنشر، القاهرة،د.ط،٢٠٠٥
١٧-المفارقة في شعر الرواد، قيس حمزة الخفاجي، دار الأرقم للطباعة والنشر، بابل، العراق، ط١، ٢٠٠٧.
١٨-المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر يوسف إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٢
١٩-المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مارس، ١٩٨٢ .